شهادة التاريخ والواقع

قد يقول قائل: إن القرآن كان يتحدّث عن اليهود في تاريخهم القديم، وحديثه عنهم ينطبق على أسلافهم الماضين. أما هم في مرحلتهم المتأخرة فإنهم تغيّروا، لقد تقدَّموا وتحضّروا، والدنيا تغيرت، والحياة تطورت، والنفوس استقامت، ولهذا لا ينطبق الحديث عن الماضين على المتأخرين.

وهذه مغالطة قد يكون وراءها اليهود. فإننا على يقين أن تحليل القرآن للنفسية اليهودية يتّصف بالصدق الفنّي المؤثر الساحر، ويتصف كذلك بالصدق الواقعي. إنه يعرض للشخصية اليهودية كما هي في عالم الواقع، إنه يبرزها أمام المشاهدين في صورة مجسمة مرئية ـ على طريقة التصوير الفني القرآنية المعجزة ـ، وإن القارىء للقرآن بعين بصيرة ليلحظ السمات الخارجية لهذه الصورة في حركات وخلجات وتصرفات وانفعالات النفس الإنسانية.

ووَصْفُ القرآن لبني إسرائيل وأخلاقهم ونفسياتهم وانحرافاتهم وأمراضهم ينطبق على أولئك الأفراد الذين كانوا زمن موسى ـ عليه السلام ـ قبل عشرات القرون، وينطبق على أفرادهم زمن أنبيائهم مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وينطبق على أفراد اليهود الذين أفسدوا في بلاد الحجاز والذين واجههم رسولنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل عدة قرون أيضاً.